لم يحظ شاعر من الشعراء العرب بالعناية والدراسة قديما وحديثا بقدر ماحظي به أبو الطيب المتنبي، ولعل شهرته في مملكة الشعر جاءت من جودة نظمه الذي يسحر القارئ، فضلا عن "أنه ينطق عن خواطر الناس" كما قال القاضي الفاضل.

سيرته:

أبو الطيب أحمد بن الحسين بن مرة بن عبدالجبار الجعفي الكندي الكوفي من أصل عربي قحطاني خالص النسب أبا وأما.

ولد سنة ٣٠٣هـ في حي كندة بالكوفة ، وهو حي نزله المهاجرون من العرب الذين نزلوا أيام الفتوح، وهم من أصل يماني، نشأ فقيرا، عمل أبوه بالسقاية، وكان يسمى عيدانا، فقد هذا الأب ، ثم تولت رعايته جدته لأمه وهي عربية همذانية.

كان المتنبي: كبير النفس، بعيد الهمة.، ناقما على الذين حكموا ديار العرب من غير أهلها، ثائرا في نفسه عليهم.

تسميته بالمتنبي:

تختلف الأخبار في مسألة نبوته، وادعائه بعض المعجزات، وتشبيه نفسه بالأنبياء، إذ يقول:

ما مقامي بأرض نخلة إلا ------- كمقام المسيح بين اليهـود
أنا في أمة تداركها اللـــ ----- ــه غريب كصالح في ثمود

في البيتين لا نجد إدعاء النبوة بل مجرد تشبيه، ولعل لقب "المتنبي" جاء من خصومه وحاسديه، وبقي مشهورا به، نافيا عن نفسه هذه التهمة، أما من ذهب أنه من" النبوة والنباوة " أي المرتفع، ولهذا الرأي شيء من الصحة في كونه كان معجبا بشجاعته وأدبه وآرائه التي ألقته في السجن وترفعه عن المبتذل ولم يعجبه هذا الحال وعبر عن حاله، وواقعه المرير، فنظم ميميته المشهورة، يقول في مطلعها:

فؤاد ما تسليه المـــدام وعمر مثل ما تهب اللئـــام
ودهر ناسه ناس صغار وإن كانت لهم جثث ضخـــام

إلتجأ الى أبي العشائر الحمداني والي انطاكية ومدحه بقصيدتين وثماني مقطوعات، والذي قدمه لسيف الدولة الحمداني سنة ٣٣٧للهجرة عندما قدم إلى انطاكية، فأعجب بشعره واصطحبه الى حلب، لإيمانه بشاعريته الممتازة وعبقريته الفذة، ووجد المتنبي في هذا الأمير العربي تجسيدا لآماله وأحلامه، فأقام في رحابه معززا مكرما لأكثر من تسعة أعوام، خصه ب٣٨ قصيدةو٤١ مقطوعة، وفاز بجوائزه السنية التي لم يفز بها شاعر آخر .

كان مجلس سيف الدولة محفلا علميا وأدبيا ضم خيرة أرباب القلم أمثال أبي فراس الحمداني ،وأبي الفرج الببغاء والوأواء الدمشقي، والخالديين، والسري الرفاء، وابن خالويه، والأصبهاني صاحب الأغاني، وغيرهم الكثير.

وفي خضم هذا المحفل الكبير احتل المتنبي الصدارة ،وحمل لواء الإمارة في الشعر، فشق ذلك على الأدباء فحسدوه، وناصبوا له العداء، ولما أحس بضعف مكانته رحل الى دمشق بقلب

جريح ومنها ارتحل الى الفسطاط، وحل في دار الإمارة وما كاد أن يرى كافورا حتى اشمأزت نفسه وظهرت بوادرها في مقدمة قصيدته الأولى التي مدح بها هذا الأمير:

كفى بك داء أن ترى الموت شافيا وحسب المنايا أن يكن أمانيا
تمنيتها لما تمنيت أن تـــــرى صديقا فأعيا أو عدوا مداجيا

طمح المتنبي في ولاية عند كافور الاخشيدي، لكن كافور لم يحقق مطالبه، فضاقت به مصر وحاول مغادرتها واستأذن كافور فلم يسمح له بذلك ووضع عليه الرصد، لأنه يعلم أن وراء ذلك هجاء حادا، ومع هذا هرب المتنبي في ليلة عيد النحر ٣٥٠للهجرة راجعا الى الكوفة، فقال قصيدته المشهورة التي حملت السخط والكره لكافور مطلعها:

عيد بأية حال عدت يا عيد بما مضى أم بأمر فيك تجديد
أما الأحبة فالبيداء دونهم فليت دونك بيدا دونها بيـــــد

وصل الكوفة منزله الأول ٣٥١للهجرة وأقام فيها، ثم زار بغداد بعد ان تقاسم الأعاجم المكاسب، كان ذلك في زمن معز الدولة البويهي ووزيره الحسن بن محمد المعروف بالمهلبي الذي نقم على المتنبي لأنه لم يمدحه، فحرض الشعراء الهجائين على المتنبي أمثال: ابن حجاج وابن لنكك البصري وغيرهم لكن المتنبي لم يكترث لهم وقال في ذلك:

وإذا أتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بأني كامل

عاد إلى الكوفة حتى جاءه رسول من سيف الدولة ٣٥٢للهجرة ومعه هدية يطلب منه العودة الى حلب، فقبل الهدية ومدحه بقصيدة دعاه فيها الى الانقضاض على حكام بغداد المستعجمين.
ووصله كتاب في أواخر ٣٥٣للهجرة من ابن العميد يدعوه لزيارة أرجان، فارتحل اليها ووجد تكريما بالغا، ومدحه بأربع قصائد، طمح الصاحب بن عباد بزيارة المتنبي ومدحه، لكن المتنبي لم يجبه، فكان سبب عداوة الصاحب له والطعن فيه، وألف في ذلك رسالة بعنوان "الكشف عن مساوئ شعر المتنبي" ودعاه عضد الدولة الى شيراز فلبى النداء ولقي حفاوة كبيرة ومالا وافرا، ونظم في مدحه ثماني قصائد، ثم استأذن بالعودة الى العراق فأذن له، فسار بمواكبه وأحماله إلى الاهواز ثم واسط وفي طريقه إلى بغداد خرج عليه فاتك بن أبي جهل الأسدي وهو ابن أخت ضبة الكلابي القرمطي الذي نال المتنبي من عرضه بهجائه المقذع، وعرض له بالقرب من النعمانية في موضع يقال له الصافية شرقي نهر دجلة ، ووقع بينهم قتال ، فقتل المتنبي وابنه وغلامه سنة ٣٥٤للهجرة.

الأغراض الشعرية:

المديح: برع المتنبي في المديح براعة فائقة، إذ تميز مديحه بحسن الديباجة ،ولطافة الصياغة وجمال الغرض إذ تسابق الامراء والملوك لاكتسابه ونيله، وكان القسم الأكبر في مديح الأمير العربي سيف الدولة الحمداني إذ يقول:

وقفت وما في الموت شك لواقف كأنك في جفن الردى وهو نائم
تمر بك الأبطال كلمى هزيمـــة ووجهك وضاح وثغرك باســـم

ومدح بدر بن ع مار حاكم طبرية وهو الشخصية الثانية التي أحبها، وعرف بالشجاعة والكرم، يقول في مدحه:

يا بدر يا بحر يا غمامة يا ليث الشرى يا حمام يا رجل
إن البنان الذي تقلبه عندك في كل موضع مثل

ومدح كثيرا من الشخصيات امثال أبي العشائر الحمداني، الحسن بن طغج، عضد الدولة، ابن العميد وغيرهم.

الهجاء:

تميز بهجائه المقذع والفاحش احيانا دون إيماء أو تلميح، ومن ذلك قصيدته في هجاء اسحاق بن إبراهيم، إذ يقول:

وجفونه ما تستقر كأنها مطروفة أو فت فيها حصرم
واذا أشار محدثا فكأنه قرد يقهقه أو عجوز تلطم

ويقول في هجاء كافور بعد هروبه من مصر:

اني نزلت بكذابين ضيفهم عن القرى وعن الترحال محدود
جود الرجال من الايدي وجودهم من اللسان فلا كانوا ولا الجود
ما يقبض الموت نفسا من نفوسهم الا وفي يده من نتنها عود

الرثاء:

شارك المتنبي في الرثاء بعدد من القصائد، ولعل اشهرها مرثيته في جدته التي تولت تربيته وبعد وصول كتاب منه فرحت به وأكبت على تقبيله حتى أصابتها الحمى من فرط السرور فماتت يقول فيها:

لك الله من مفجوعة بحبيبها قتيلة شوق غير ملحفها وصما
أحن إلى الكأس التي شربت بها وأهوى لمثواها التراب وما ضما

والمرثية الثانية في خولة أخت سيف الدولة تعبر عن عاطفة صادقة، وحزن عميق يقول فيها:

يا أخت خير أخ يا بنت خير أب كناية بهما عن أشرف النسب
طوى الجزيرة حتى جاءني خبر فزعت فيه بآمالي الى الكذب
حتى اذا لم يدع لي صدقه املا شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بي

الغزل:

انشغل المتنبي بمشكلات قومه الذين عاشوا تحت وطأة الظلم والقهر، فلم يلتفت إلى الغزل، ومع ذلك نجد له شعرا رقيقا ،قيل هو في خولة اخت سيف الدولة الحمداني ، ولا يستند هذا الرأي إلى دليل قاطع ،ولعل قدرته الفائقة في التحدث بلغة العشق دفع الباحثين إلى القول بانه كان عاشقا، ومن ذلك قوله في مطلع قصيدته التي يمدح بها أبا المنتصر شجاع بن محمد الأزدي، يقول فيها:

أرق على أرق ومثلي يأرق وجوى يزيد وعبرة تترقرق
جهد الصبابة أن تكون كما أرى عين مسهدة وقلب يخفق

وكان ذوقه بدويا، يميل الى الجمال البدوي بعيدا عن البهرجة والتصنع إذ يقول:

ما أوجه الحضر المستحسنات به كأوجه البدويات الرعابيـــــب
حسن الحضارة مجلوب بتطرية وفي البداوة حسن غير مجلوب

الوصف:

لم يكثر المتنبي من الوصف بل جاء غالبا في مطالع قصائده او في ثناياها، ومن وصفه للطبيعة في بوان قوله:

مَغاني الشَعبِ طِيباً في المَغاني *** بِمَنزِلَةِ الرَبيعِ مِنَ الزَمانِ
وَلَكِنَّ الفَتى العَرَبِيَّ فيها *** غَريبُ الوَجهِ وَاليَدِ وَاللِسانِ
مَلاعِبُ جِنَّةٍ لَو سارَ فيها *** سُلَيمانٌ لَسارَ بِتَرجُمانِ
طَبَتْ فُرسانَنا وَالخَيلَ حَتّى *** خَشيتُ وَإِن كَرُمنَ مِنَ الحِرانِ
غَدَونا تَنفُضُ الأَغصانُ فيها *** عَلى أَعرافِها مِثلَ الجُمانِ
فسِرتُ وَقَد حَجَبنَ الشَمسَ عَنّي *** وَجِئنَ مِنَ الضِياءِ بِما كَفاني
وَأَلقى الشَرقُ مِنها في ثِيابي *** دَنانيرًا تَفِرُّ مِنَ البَنانِ
لَها ثَمَرٌ تُشيرُ إِلَيكَ مِنهُ *** بِأَشرِبَةٍ وَقَفنَ بِلا أَواني
وَأَمواهٌ يصِلُّ بِها حَصاها *** صَليلَ الحَلي في أَيدي الغَوان

وفي وصف الحمى يقول:

وزائرتي كأن بها حـــــــياء فليس تزور الا في الظـــلام
بذلت لها المطارف والحشا يا فعافتها وباتت في عظامـــي

وله في وصف الحروب وغيرها الكثير.

الفخر:

تميز المتنبي بالفخر بنفسه وهي ظاهرة بارزة في شعره ومن ذلك قوله:

أنا الذي نظر الأعمى الى أدبي وأسمعت كلماتي من به صمم
أنام ملء عيوني عن شواردها ويسهر الخلق جراها ويختصم

الحكمة:

اكتسب المتنبي تجربة طويلة ومكتنزة انعكست على شعره عامة، إذ برز في شعره أبيات في الحكمة ومن ذلك قوله:

أعز مكان في الدنى سرج سابح وخير جليس في الزمان كتاب

وقوله:

من يهن يسهل الهوان عليه ما لجـــرحٍ بميـــت إيـــلامُ

مميزات شعره:

1- جمع المتنبي بين الصنعة والطبع.
2- وفق بين الإحساس والخيال.
3- جمع بين العلم والتجربة.

4- زاوج بين المطلع وموضوع القصيدة الاساس مع الخاتمة.
5- مال للشرح والتفصيل ،والاسلوب الخطابي.
6- التماسك الشديد، والترابط الوثيق، وتسلسل الأفكار.
7- مال الى التعقيد واستعمال الألفاظ الغريبة والزج بالمصطلحات المنطقية والفلسفية.
8- تميز بالموسيقى الجميلة والاختيار الجيد للأوزان وملاءمتها للفظ والمعنى.
فضلا عن استعمال البديع كالجناس وحسن التقسيم.
ومن ذلك قوله:

الخيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم

ومن اجمل قصائده واكثر القصائد التي ذهبت ابياتها مثلاً والتي تعد من عيون الشعر العربي قصيدته في مدح سيف الدولة الحمداني والي حلب التي يقول فيها:

الحفظ: (**ستة** ابيات من القصيدة)

وَاحَـرّ قَلْبـاهُ ممّـنْ قَلْبُـهُ شَبِـمُ وَمَـنْ بجِسْمـي وَحالي عِنـدَهُ سَقَـمُ
ما لي أُكَتِّمُ حُبّاً قَدْ بَرَى جَسَـدي وَتَدّعـي حُـبّ سَيفِ الدّوْلـةِ الأُمَـمُ
إنْ كَـانَ يَجْمَعُنَـا حُـبٌّ لِغُرّتِـهِ فَلَيْتَ أنّـا بِقَـدْرِ الحُـبّ نَقْتَسِـمُ
قد زُرْتُـهُ وَسُيُوفُ الهِنْدِ مُغْمَدَةٌ وَقد نَظَـرْتُ إلَيْـهِ وَالسّيُـوفُ دَمُ
فكـانَ أحْسَـــنَ خَلـقِ الله كُلّهِـمِ وَكانَ أحسنَ ما في الأحسَنِ الشّيَمُ

....

يا أعـدَلَ النّـاسِ إلاّ في مُعامَلَتي فيكَ الخِصامُ وَأنتَ الخصْمُ وَالحكَمُ
أُعِيـذُها نَظَـراتٍ مِنْـكَ صادِقَـةً أن تحسَبَ الشّحمَ فيمن شحمهُ وَرَمُ
وَمَا انْتِفَـاعُ أخـي الدّنْيَـا بِنَاظِـرِهِ إذا اسْتَـوَتْ عِنْـدَهُ الأنْـوارُ وَالظُّلَـمُ
سَيعْلَـمُ الجَمـعُ ممّـنْ ضَمّ مَجلِسُنا بأنّنـي خَيـرُ مَـنْ تَسْعَـى بـهِ قَـدَمُ
أنَـا الـذي نَظَـرَ الأعْمَى إلى أدَبي وَأسْمَعَـتْ كَلِماتـي مَـنْ بـهِ صَمَـمُ
أنَـامُ مِـلْءَ جُفُونـي عَـنْ شَوَارِدِهَا وَيَسْهَـرُ الخَلْـقُ جَرّاهَـا وَيخْتَصِـمُ
وَجاهِـلٍ مَـدّهُ فـي جَهْلِـهِ ضَحِكي حَتـى أتَتْـهُ يَـدٌ فَرّاسَـةٌ وَ فَـمُ
إذا رَأيْـتَ نُيُـوبَ اللّيْـثِ بـارِزَةً فَـلا تَظُنّـنّ أنّ اللّيْـثَ يَبْتَسِـمُ
وَمُهْجَةٍ مُهْجَتي من هَمّ صَاحِبها أدرَكْتُهَـا بجَـوَادٍ ظَهْـرُه حَـرَمُ